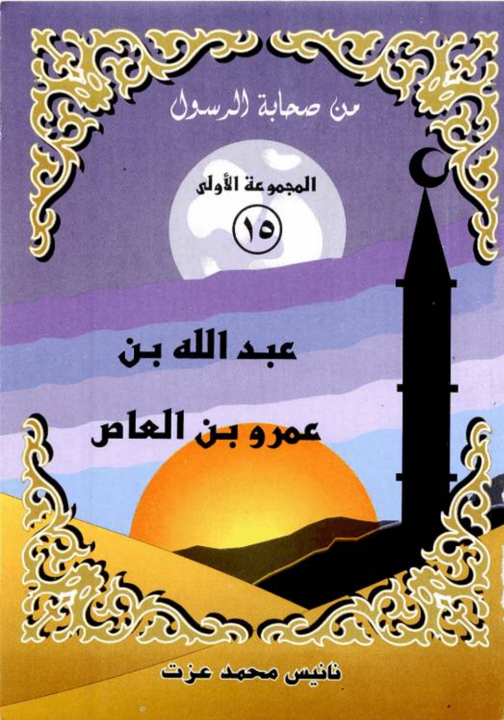

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
١٥
عبد الله بن
عمرو بن العاص
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

**المجموعة الأولى ١٥**

# عبد اللّه بن عمرو بن العاص

بقلم

## نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

# عبد اللّه بن عمرو بن العاص

قال « المُعلّمُ عبّاس » لوَلدِه : لقد كَبرتَ يا رَبيع ، ومنَ الواجبِ عَلَيكَ الآنَ أن تُساعِدَ أباك ، فتذْهبَ مَعِيَ غدًا إلَى العَمل .

بُهِتَ رَبيعٌ وقالَ لوالِدِه : أَذهبُ معك إلَى العَمل ! إنَّ عَملكَ هذا لا يُناسِبُنى ، ثمَّ إنَّ عَمَلَكَ الّذى تَقومُ بِه لا يُسمَّى عَملاً علَى الإطْلاق .

اِغْتاظَ أَبوهُ وصَرخَ فيه : لا يُعجبُك عَملى ، وأَنا أَكسِبُ فى اليَومِ الواحد أَكثَرَ

مَن مِائَةِ جُنَيه ، ثُمَّ إنَّ اللّهَ أمركَ بطاعَةِ والِدَيْك ، فَهُما أَدرَى النّاسِ بما يَنفَعُك .

ذهبَ رَبيعٌ إلَى المَسجدِ وهو مَهْموم ، يُفكِّرُ فيما قالَه لـه والِدُه . فوالِدُهُ يُريدُ أن يَعملَ مَعه . كَيف ؟ كَيفَ له أن يَمُدَّ يَدَهُ ويَسأَلَ النّاس ؟ كيفَ لـه أَنْ يَعمَل مُتَسَوِّلاً كوالِدِه ؟

وتَذكَّر رَبيعٌ قَولَ والِدِه : إنَّ اللّهَ يَأمُركَ بطاعَةِ والِدَيك . أَيَجبُ عَليه حَقًّا أن يُطيعَ والِدَه ، حتّى لو أَمرَه بالتَّسَوُّل ؟

وبعدَ أن صلّى رَبيعٌ المَغربَ فى المَسجد ، ذهبَ إلَى الشَّيخِ علىٍّ إمامِ المَسجدِ وسَألَه :

ـ والِدى يَأمُرنى أَنْ أَتسَوَّلَ مَعه، ويُذكِّرُنى بأمْرِ اللّهِ بطاعَةِ الوالِدَيْن ، فماذا أَفْعل ؟

قالَ الشَّيخُ عَلِيّ : حاشا لِلّهِ أنْ يَكونَ اللّهُ قد أمَرَ بذَلِك . فقدْ قالَ اللّهُ سُبحانَهُ وتَعالَى :

﴿ وإنْ جاهَداكَ علَى أن تُشرِكَ بى ما لَيسَ لكَ بهِ عِلمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما فى الدُّنيا مَعْروفا ﴾ .

فَرِح رَبيعٌ وقال : أمُمْكِنٌ أنْ أَرفُضَ الذّهابَ مَعَه ؟

قالَ الشَّيخُ عَلِيّ : قلْ لأَبيكَ إِنّى أُريدُ أن أُكَلِّمَكُما مَعًا بعدَ صَلاةِ العِشاء .

وبعدَ صَلاةِ العِشاءِ جَلسَ الشَّيخُ عَلىٌّ يُحدِّثُ المُعلِّمَ عَبّاسًا ووَلَدَه ، فقالَ لَهُما :

ـ كيفَ لكَ أن تَأمُرَ ابْنَك بالتَّسوُّل ؟ ألمْ تَعلمْ بأنَّ اللّهَ ـ سُبحانَهُ وتَعالى ـ قد نَهى عنْ سؤالِ النّاس ؟ وأنَّ النَّبيَّ ـ صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ قالَ لرَجُل : ( لئنْ تَحتَطِبْ أكْرمُ إليكَ من أن تَمُدَّ يَدكَ لِلنّاس ) ؟

قالَ المُعلَّمُ عَبّاس : إنّى أَكسِبُ مِنَ التَّسوُّلِ فى اليَومِ الواحِدِ أكثَرَ مِمّا أكسِبُهُ من أىِّ عَملٍ آخر .

قال الشَّيخُ عَلىّ : قدْ تَكسِبُ أَكثَر ، ولَكِنَّك سَتُلاقى ربَّكَ يَومَ القِيامَةِ وأنتَ

أَسودُ الوَجهِ مُكفهِرٌّ الجَبين . ثـمَّ أَخْـبرنى .. أىُّ طاعَةٍ لِلوالِدَيْن هذه الَّتى تُريـد ابنَـكَ أن يَلْتَزِمَ بها ؟ يَجبُ عَليـكَ أنْ تَـأمُرَه بطـاعَتِكَ فى الخَيرِ ولَيـس فـى مَعصِيَـةِ اللّـه . إنَّ عبـدَ اللّـهِ بـنَ عَمْـرِو بـنِ العـاص ، أطـاعَ والِــدَه كارِهًـا يومًـا واحـدا ، وقَضَـى مـا بَقَـى مــن عُمْرِهِ نادِمًا على أَنْ فَعَل .

قـالَ رَبيـع : ومـا الَّـذى فَعلَـهُ لِيَنْـدمَ عَليـه طِوالَ عُمره ؟

قالَ الشَّيخُ عَلىّ : لقدْ كانَ عبـدُ اللّـهِ بـنُ عَمرِو بنِ العـاصِ عـابدًا زاهِـدا ، لا يَعـرِفُ مــنَ الحيــاةِ إلاّ المَســجدَ والعِبــادَةَ وقِــراءَةَ

القُرآن ، والصَّلاةَ والصِّيامَ والجهادَ في سَبيلِ اللّه . فكانَ يَصومُ ولا يُفطِر ، ويَقرأُ القُرآنَ منَ الفَجرِ إلَى الفَجر ، وكانَ شَديدَ الحِرصِ عَلَى حِفظِ القُرآن ، فَما نزَلتْ آيةٌ إلاّ وكانَ سَبّاقًا إلَى حِفْظِها وفَهمِ أَوامِرِها ونَواهيها والعَملِ بِها . وكانَ على الدَّوامِ في مُقدِّمةِ المُحارِبينَ في سَبيلِ اللّه ، فإنْ لم تكُنْ هُناكَ حَربٌ فهو في المَسجدِ مُداوِمًا علَى ذِكرِ اللّه . أتَعلَمُ يا رَبيعُ أنَّ عَبدَ اللّهِ ابنِ عَمرٍو لم يَعرفْ لِسانُهُ حَديثًا منْ أَحاديثِ الدُّنيا أبَدا ، مَهما كانَ حَديثًا حَلالا ؟ فهوَ

دائمـا أبَـدًا تالِيًـا للقُـرآن ، أو مُسَبِّحًا بحَمــدِ اللّه ، أو مُستَغفِرًا لذَنبه ؟

قالَ رَبيع : وما هو العَملُ الّذى يُمكِنُ أن يَندَمَ عَليهِ عَبدُ اللّه ؟ فهوَ منَ الذّاكِرينَ اللّه .

ردَّ عَليهِ الشَّيخُ عَلىٌّ بقَولِهِ : عَلِمَ الرَّسولُ ـ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ بـأمرِ عَبـدِ اللّـه ، فدَعاهُ وسَألَه : ( ألَم أُخبَرْ أنَّكَ تَصـومُ النَّهـارَ لا تُفطِر ، وتُصلّيَ اللَّيلَ لا تَنام ؟ ) .

ردَّ عَليهِ عَبدُ اللّهِ بالإيجاب .

ولأنَّ الإسْلامَ هـو دينُ الاعْتِـدالِ فـى كـلِّ شَىء ، فقد نهاهُ الرَّسولُ ـ صلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وسَلَّمَ ـ عـن ذلـك ، وقـالَ : (إنّـى أَصـومُ

وأُفطِر، وأُصلّى وأنام ، وأتزوَّجُ النّساء ، فَمن رَغِبَ عن شَيءٍ من ذَلك فليْسَ مِنّى ) .

وأمرَه بأنْ يَصومَ صِيامَ دَاودَ عَليهِ السّلام ، قائِلا : ذَلِكَ أفْضَلُ الصِّيام ، يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يَوما ، وأَن يَقرأَ القُرآنَ كلَّ شَهرٍ مَرَّة ، وإنْ أَرادَ فكلَّ عَشَرَةِ أيّامٍ مَرَّة ، وإنْ قَدِرَ فكلَّ ثَلاثةِ أيّامٍ مَرَّة ، وليسَ أَقلَّ من ذَلِك .

ثمَّ ينهى الرَّسولُ - صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وسلَّمَ - حَديثَهُ معَ عبدِ اللّهِ قائِلاً : افعَلْ ما أمَرتُكَ وأَطِع أباك .

وتَمرُّ الأيّامَ وتَزيدُ الفِتَن ، ويَزيد التَمرُّدُ بَينَ المُسلِمين ، فهذا مُعاوِيَةُ بنُ أَبى سُفيانَ يَطمَعُ فى الخِلافَةِ بعدَ مَقتَلِ عُثمانَ بنِ عَفّان ،

وَيَزعُمُ أنَّهُ أَولَى بِها من عليٍّ بنِ أبى طالِب ـ كرَّمَ اللّهُ وَجهَه ـ وتَنشَأُ الحَربُ بين الطّائِفتَيْن . ومَضت موقِعَةُ الجَمَل وجاءتْ مَوقِعَةُ صِفّين . ويَأمُرُ عَمرُو بنُ العاصِ ـ أبو عبدِ اللّهِ ـ ولَدَهُ أن يَخرُجَ لِلقِتال فى صُفوفِ مُعاوِيَة ، فعمْرٌو داهِيَةٌ ماكِر ، يَعلَمُ مَدَى حُبِّ المُسلِمينَ لابْنِهِ عبدِ اللّه ، وتَقديرِهم لَه ، فهو يُريدُه فى صَفّه لِيَكسِبَ جُموعَ المُسلِمينَ معه .

ويَرفُضُ عبدُ اللّه . فكيفَ لَه أنْ يُحارِبَ مُسلِمًا وقد قالَ اللّهُ تعالى : ﴿ ومَن يَقْتُل مُؤمِنًا مُتَعمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهنَّمُ خالِدًا فيها

وغَضِبَ اللّهُ عَليهِ ولَعنَه وأعدَّ له عَذابًا عَظيما ﴾ .

ولكنَّ عمرَو بنَ العاصِ يُذكِّرُهُ بأمرِ الرَّسولِ ـ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ لَه بأنْ يُطيعَ أَباه فيخرُجَ ـ عبدُ اللّهِ ـ كارِهًا عازِمًا فى نَفْسِهِ ألاّ يُحارِب .

قالَ المُعلِّمُ عَبّاس : خرجَ عبدُ اللّهِ لِقِتالِ المُسلِمينَ رغْمَ عِلمِه بِحُرمَةِ ذلك ، وهُو العابدُ المُتعَبِّد ؟

قالَ الشّيخُ عَلِيّ : لقدْ أطاعَ أَباهُ فى أمْرٍ يَعلَمُ أنَّهُ مَكروهٌ حتّى لا يُغضِبَ أَباه ، ولكِنَّ تلكَ الطّاعَةَ جَلبتْ عَليهِ النّدَم ما بَقِيَ لَه من عُمْرِه ، فقدْ قُتِل فى تِلك المَعرَكَةِ « عَمّارُ بنُ

ياسِرٍ » وقَد تَنبَّأَ الرَّسولُ ـ صلَّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وسَلَّمَ ـ مِنْ سَبْعٍ وعِشْرينَ سَنةً بقَولِه : (وَيْحَ ابنِ سُمَيَّة ! تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَة ) . إذَنْ فهَؤلاءِ الَّذين خرجَ معهم هُم الفِئَةُ الباغِيَـة . وهاجَ عَبدُ اللَّهِ وماجَ كيفَ يُحارِبُ مَع الفِئَـةِ الباغِيـة ، فيَنطَلِقُ في جَيشِ مُعاوِيَة مُنذِرًا إيّاهُم أنَّهم بُغاة . ويَسودُ الوُجومُ جَيشَ مُعاوِيَة ، ويَخافُ مُعاوِيَةُ منَ الهَزيمَة ، ويَسأَلُ عَبدَ اللّه : فَلِمَ خَرجْتَ مَعنا ؟ ويَرُدُّ عَبدُ اللّـه : لأنَّ الرَّسولَ ـ صلَّى اللَّـهَ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ أَمرَني أَنْ أُطيعَ أَبي .

ويُنقِذُ عَمْرو بنُ العاصِ الماكِرُ المَوقِفَ وقال : إنّما قَتلَ عمارَ بنَ ياسِرٍ الّذين خَرَجوا به وحَملوه مَعهُم إلى القِتال .

ويَستأنِفُ الفَريقانِ القِتال .

قالَ رَبيع : وماذا فعلَ عبدُ اللّهِ بعدَ ذلك ؟

قالَ الشَّيخُ عَلِيّ : عادَ إلَى مَسجدِهِ وعِبادَتِه ، وقَضَى ما بَقِى من عُمرِهِ نادِما ، فكُلّما تذَكَّرَ تلكَ المعركَةَ بكىَ وقال : مالى ولصِفّين ؟ مالى ولِقتال المُسلِمين ؟

ولقِيَ عبدُ اللّهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ ربَّهُ وهو فى الثّانِيَةِ والسَّبعينَ من عُمْره ، بعدَ أن قَضَى ما بَقَى له مِن عُمرِهِ فى المَسجِد ، يتضَرَّعُ إلَى

اللّهِ ويُسبِّحُ بحَمدِه ، ويَستَغفِرُ لذَنْبه .

* * *

قالَ المُعلّمُ عَبّاس : عِنـدَ مـا دَعـوتُ رَبيعًـا لِلعَمَلِ مَعى ، كنتُ أُفكِّرُ فى مَصلَحَتِه .

قالَ الشَّيخُ عَلِيّ : ومـا هـى المصلَحَـةُ فـى التّسـوُّل ؟ دَع ابنَـكَ يَذهَـبْ إلى مَدرَسَـتِه ، ويَتعلَّمْ ليَشُبَّ رَجُلاً عـامِلاً يَنفَـعُ المُجتمَـع ، ولَيسَ عاطِلاً يَعيشُ عالَةً على النّاس . وأنتَ يـا مُعلِّمُ عبّاس ، ألا تَخجَلُ من سُؤالِ النّـاس ؟ إنَّ بضعَةَ قُروشٍ قَليلَةٍ تكسِـبُها مـن حَـلال ، أَبْـركُ من الجُنَيْهاتِ الّتى تكسِبُها مُتذَلّلاً لِلنّاس .

قالَ المُعلّمُ عَبّـاس : ولَكنّـى لا أَعـرِفُ أيَّـةَ مِهنَة ، ولا أُتقِنُ أيَّةَ صَنْعَة .

قالَ الشَّيخُ عَليّ : إذا عَزمتَ على التَّعلُّمِ فذَلِكَ أمْرٌ سَهل . المُهِمُّ هو أنْ تُريدَ أن تَتعلَّمَ أيَّ مِهْنَة ، وأنا - إنْ شاءَ اللّهُ - سَأُعَرِّفُك ببَعضِ الإخْوةِ الذّينَ يُمكِنُ أن يُعاوِنوك . واللّهُ وليُّ التّوفيق .

قالَ رَبيع : شُكرًا جَزيلاً لَكَ يا شَيْخُ عَليّ ، فأنْت إنّما تَقومُ بعَمَلٍ جَليلٍ لَن أنْساهُ لكَ العُمرَ كُلَّه .

قالَ الشَّيخُ عَليّ : لا شُكرَ على واجِب ، ( واللّهِ لأنْ يَهدِيَ اللّهُ بِك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم ) أى الإبِل الحُمْرِ ، وهى أنفَسُ أموالِ العَرَب .